مع حركة التفسير

في مسيرتها التاريخية

أنزلَ الله القرآنَ الكريمَ بلسانٍ عربيٍّ مبين , وجَعَله ميسَّراً للذكرِ والفهمِ التلاوةِ والحفظ :(وَلَقَد يسيرنا القرءان للذ كر فهل من مدكر) /القمر:17/

ولهذا كان الصحابةُ يَعرفون معظمَ معاني القرآن .وماخفيَ عليهم معناه, وغمضَ عليهم تفسيرُه, كانوا يسألونَ عنه رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فيجيبُهم على سؤاِلهم، ومعظمُ القرآنِ لم يكن بحاجةٍ إلى تفسيرٍ زمن الصحابةِ , لفهمِهم له !

وقامَ علماءُ الصحابة والتابعين يُبَيِّنون للناس معانيَ القرآن , ويفسرونَه لهم !

واستمرَّتْ حركةُ التفسيرِ في مسرتها التارخية على مدارِالقونِ والأجيال، وامتلأتْ مكتبةُ التفسيرِ بالتفاسيرِ المختلفة ,على اختلافِ مدارسها واتجاهاتها.

ولقد مرَّتْ حركةُ التفسيرِ في مسيرتها التارخية ـ منذُ الصحابةِ الكرام وحتى العصرالحاضر ـ بأربعِ مراحلَ بارزة ، تَمَيَّزَ التفسيرُ في كلِّ واحدةٍ منها بمزايا خاصة.

هذه المراحل هي: التفسيرُ في طورِ التأسيس ، والتفسيرُ في طورِ التأصيل،

والتفسيرُ في طورِ التفريع، والتفسير في طورِالتجديد.

وفيما يلي حديثُ مجمل ـ في غايةِ الإيجازِ والإجمالِ ـ عن كلِّ مرحلة ،وعن طبيعةِ التفسيرِ فيها،والمنهجِ الذي برزَ واضحاً فيها !

المرحلة الأولى ـ التفسير في طور التأسيس :

هذه هي المرحلة الأساسية ، التي نشأ فيها التفسيرُ نشأةً علميةً صحيحة , وتأسَّيسَ فيها علمُ التفسير تأسيساً قوياً متيناً، واتصف فيها بالعلميةِ والمنهجيةِ والموضوعية.

وامتدَّتْ هذه المرحلةُ على مدارِ القرونِ الخيريةِ الثلاثة الأولى، التي شهدَ لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم , بالفضلِ والخير، وتُمَثِّلُ هذه القرونُ الثلاثةُ الأجيالَ الثلاثةَ الأولى الفاضلةَ في هذه الأمة : جيلَ الصحابة , وجيلَ التابعين , وجيلَ أتباع التابعين.

بدأتْ هذه المرحلةُ التأسيسية على بدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم , حيثُ كان صلى الله عليه وسلم , أولَ مَنْ فَسَّرَ القرآن ، فرغم أنه لم يُفسر القرآن كاملاً، لكنه فسَّرَ منه ما احتاجَ الصحابةُ الى تفسيره، وما سألوه عنه .

ولهذا يُعتبرُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم المؤسِّسَ لعلمِ التفسير، ويكفي هذا فضلاً ومزيةً لعلمِ التفسيرِ ،الشريف.

وبعدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قامَ الصحابةُ بتفسيرِالقرآن، وكان الصحابةُ متفاوتين في فهمِ القرآن وفي تفسيره.

وأشهرُالمفسرين من الصحابة عشرة ، وهم: أبوبكرالصديق ، وعمرُبن الخطاب ، وعثمانُ بن عفان، وعليُّ بن أبي طالب، وعبدُلله بن مسعود ،وعبدُالله بن عباس ،وأُبيُّ بن كعب ،وزيدُ بن ثابت ،وأبوموسى الأشعري، وعبدُالله بن الزبير،رضي الله عنهم أجمعين.

وأشهرُ المفسرين العشرة: ابنُ مسعود وابنُ عباس وأُبيُّ بن كعب رضي الله عنهم.

واشتهرتْ ثلاثُ مدارس للتفسير زمنَ الصحابة:

1ـ مدرسةُ التفسير بمكة : وقدئأسَّيستْ على يدِ حَبْرِ الأمة وترجمانِ القرآن , عبدِالله بن عباس رضي الله عنهما.

ومن تلاميذِ ابن عباس في هذه المدرسة: مجاهدُ بن جبر، وسعيدُ بن جبير، وطاووسُ بن كيسان اليماني، وعكرمةُ البربري، وعطاءُ بن أبي رباح، وأبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي.

2ـ مدرسةُ التفسير بالمدينة : وقد تأسَّيستْ على يدِ الصحابي أُبيِّ بن كعب الأنصاري رضي الله عنه . ومن أشهرِ رجال هذه المدرسة :أبو العالية :رفيع بن مهران الرياحي، ومحمدُ بن كعب القرظي، وسعيدُ بن المسيب، وزيدُ بن أسلم.

3ـ مدرسةُ التفسير بالكوفة : وقد تأسَّيستْ على يدِ الصحابي عبدِالله بن مسعود رضي الله عنه . . ومن أشهرِ رجال هذه المدرسة :علقمةُ بن قيس النخعي، ومسروقُ بن الأجدع، وزِرُّ بن حُبَيْش، وأبو عبد الرحمن : عبدالله بن حبيب السلمي، والأسودُ بن يزيد النخعي، وعامرُ الشعبي، والحسنُ البصري ، وقتادةُ ابن دعامة السدوسي. وعبيدة السلماني.

والمفسرونَ من أعلامِ علماءِ التابعين في التفسير هم الذين ذكرناهم من تلاميذِ أئمة المدارس الثلاثة : تلاميذِ ابنِ عباس في مكة ، وتلاميذِ أُبيِّ بن كعب في المدينة ، وتلاميذِ ابنِ مسعود في الكوفة.

وجاءَ جيلُ ( أتباع التابعين )، وظهرَ علماءُ الطبقة الثالثة من طبقات المفسرين ،وهم تلاميذُ التابعين ،وبعضُهم دَوَّنَ تفاسيرَ مستقلّة للقرآن الكريم.

ومن أعلامِ المفسرين في هذه الطبقة : يزيدُ بن هارون السلمي، وشعبةُ بن الحجاج ،ووكيعُ بن الجراح ،وسفيانُ بن عيُينة، وإسماعيلُ بن عبدالرحمن السدي الكبير ، ومقاتلُ بن سليمان البلخي، وعبدُ الملك بن جريج، وأبوبكر بن أبي شيبة، وعبدُالرزاق بن همام الصنعاني، وآدمُ بن أبي إياس، ويحيى بن سلام البصري، وعبدُ بن حميد.

وقد جُمعتْ أقوالُ بعضِ التابعين وأتباعهم في التفسير في كتب . ومن أشهر التفاسير التي ظهرت مطبوعةً جامعةً لأقوالِ هؤلاء: تفسيرُمجاهد، وتفسيربن عباس برواية علي بن أبي طلحة ،وتفسيرُالحسن البصري,وتفسيرُقتادة،وتفسيرُ سفيان الثوري,وتفسيرُالسدي الكبير،وتفسيرُعبدالرزاق الصنعاني.

ونلاحطُ أنَّ التفسيرفي مرحلة التأسيس كان يتصفُ بالإيجازِوالاختصا، ولم يتمّ تفسيرُالقرآن كاملاً من سورة الفاتحة الى سورة الناس، وإنما كان المفسرُ يفسّرُ الآياتِ التي يُسألُ عنها،أوالتي تدعوالحاجة إلى تفسيرها.

وقد برزَفي مرحلة (التأسيس) اتجاهان واضحان بارزان في التفسير:

الاتجاه الأول ـ اتجاهُ التفسير بالمأثور : كان يعتمدُ أصحابُه على إيرادِ الأقوال المأثورة في تفاسيرهم,من أحاديثَ مرفوعة للرسول صلى الله عليع وسلم ، ومن أقوالٍ للصحابةِ أوالتابعين، يوردونَهامسندةً مكررة، وقديوردونَ أكثرَ من طريقٍ للرواية الواحدة !

ومن التفاسير المطبوعة التي تمثّلُ هذا الاتجاه الأثري: تفسيرُمجاهد، وتفسيرُ الحسن البصري،وتفسير السدي الكبير، وتفسيرُ قتادة ،وتفسيرُ مقاتل،وتفسيرسفيان الثوري، وتفسيرُعبدالرزاق الصنعاني.

الاتجاه الثاني ـ الاتجاهُ اللغويُّ البياني : وكان أصحابُه يفسّرونَ بعضَ كليماتِ القرآن تفسيراً لغوياً بيانياً , حيث يذكرونَ معنى الكلمة القرآنية في اللغة،

واشتقاقَها وتصريفها،ويوردون الشواهدَ الشعرية على مايذكرون.

ومن التفاسيرِ اللغويةِ المبكرةِ التي تمثلُ هذا الاتجاه: مجازُالقرآن لأبي عبيدة مَعْمَرِ بن المثنى، ومعاني القرآن لأبي زكريا الفراء، ومعاني القرآن للأخفش، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

لقد أرسى أصحابُ الاتجاهِ الأثري في التفسير معالمَ هذا المنهج في تفسيرالقرآن، وكان هؤلاءالمفسرون الأعلام ـ كابن عباس ومجاهد وابن جبيروقتادة والحسن ـ مؤسسي المنهجِ الأثري في التفسير، لأنهم كانوا روّادَهذا الاتجاهِ في مرحلةِ التأسيس.

وأرسى أصحاب الاتجاه اللغوي معالمَ المنهجِ البيانيِّ اللغوي في التفسير،وكان هؤلاء المفسرون الأعلام ـ كأبي عبيدة والفراء والكسائي والأخفش وابن قتيبة والزجاج ـ مؤسسي المنهجِ اللغوي في التفسير،لأنهم كانوا رواد هذا الاتجاه في مرحلة التأسيس.

وهكذا نشأ (علم التفسير) نشأةً علمية موضوعية،في القرون الخيرية الثلاثة الأولى،في تاريخ هذه الأمة ! وعلى هذا الأساسِ القويِّ المتين تمَّ بناءُ الصرحِ الشامخِ المنيرِ لعلم التفسير في القرون والأجيال اللاحقة !!

المرحلة الثانية ـ التفسير في طور التأصيل :

انتقلَ (علمُ التفسير) انتقالاً موضوعياً الى المرحلة الثانية،وهي مرحلةُ (التأصيل), وهذه المرحلةُ مبنيةٌ على ماقبلَها بناءً سليماً, ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، فمن المنطقيِّ أن يأتيَ التأصيلُ بعدَ التأسيس.

تمَّ في مرحلةِ (التأصيل) ترسيخُ المنهجِ الأصيلِ لعلم التفسير، المنهجِ الذي يقوم على أسس وقواعدَ متينة، وهذه القواعدُ والأسسُ (قَعَّدَتْ) لعلمِ التفسير القاعدةَ الصلبة،التي أعقبتْ تأسيسَ ونشأةَ هذا العلم!

وكانتْ مرحلةُ التأصيلِ في نهايةِ القرنِ الثالث، وأرسى أسسَ وقواعدَ علمِ التفسير في هذه المرحلة امامُ المفسرين أبوجعفرمحمد بن جريرالطبري.

وصل إلى الامام ابن جرير الاتجاهانِ السابقانِ البارزانِ في مرحلةِ التأسيس, اتجاهُ التفسيرِ الأثريّ،واتجاهُ التفسير اللغوي.

صاحبُ التفسير اللغوي ـ كالأخفش والفراء ـ كان لايكادُ يذكرُ الأقوالَ المأثورة في التفسير،ولايكادُ يقدِّمُ اجتهاداته واستنباطاته، وصاحبُ التفسيرِالأثري ـ كالسيدي الكبير وعبدالرزاق ـ لايكادُ يتعرَّضُ للغةِ في تفسيره، ولايكادُ يقدمُ اجتهاداته أيضاً.

فلما جاءَ الإمامُ الرئدُ ابنُ جرير الطبري جمعَ بين الاتجاهيْن الأساسيين :

التفسيرِ الأثري، والتفسيراللغوي، وأضافَ لهما استنباطاته وترجيحاته.

وكان المنهجُ الذي (أصَّلَ) فيه الطبريُّ لعلم التفسيرمنهجاً متفرداً، ويمكنُ أنْ نسميه ( المنهج الجامع) في التفسير، وفَسَّرَالقرآن كلّه، سورةً سورة، وآيةً آية، وجملةً جملة، على أساسِ هذا المنهج الجامع، وتحققَ هذا المنهجُ في تفسيره :

( جامع البيان عن تأويل آي القرآن)

وقامَ هذا ( المنهجُ الجامعُ) على ثلاثِ أُسسٍ منهجيةٍ موضوعية :

الأول ـ تفسيرُ القرآن باللغة : حيثُ كانَ يقدمُ معاني الكليماتِ والجمل القرآنية، ويذكرُ تحليلاتٍ وتوجيهاتٍ بيانية لغوية، ويوردُ شواهدَ شعرية، ويُجري نقاشاتٍ بيانية ونحوية.

واستفادَ الإمامُ الطبري من التفاسير اللغوية التي سبقَتْه، مثل( مجازالقرآن) لأبي عبيدة و(معاني القرآن) للفرّاء، و(معاني القرآن)للأخفش الأوسط و(تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة.

الثاني ـ تفسيرُ القرآن بالمأثور: حيث كانَ الطبريُّ يوردُ الأقوالَ المأثورة في تفسير الآية أوالجملة أوالكليمة، سواء كانت تلك الأقوالُ المأثورةُ أحاديثَ مرفوعةً للرسول صلى الله عليه وسلم , أو أقوالاً للصحابة، أوالتابعين، أو أتباعِ التابعين.

وكان يوردُ هذه الأقوال المأثورةَ بأسانيدِه العديدة المكررة،وجعلَ تفسيرَه (مستودعاً )لهذه الأقوال .

واستفادَ مِن التفاسير التي سبقتْة، والتي اعتمدَت الاتجاه الأثريَّ في التفسير، كتفسير مجاهد، وتفسير السدي الكبير، وتفسيرقتادة،وتفسيرسفيان الثوري، وغيرهم.

الثالث : تقديمُ استنباطاتِه واجتهاداته وتأويلاِته ، حيث كان الطبريُّ يتدبَّرُ الآيات ، ويمعنُ النظرفيها،ويستخرجُ منها بعضَ ماتوحي له به من معانٍ ودلالات.

ونلاحظُ أنّ هذه الخطوةَ الثالثة منه تأتي في ترتيبها المناسب،حيثُ كانَ يسبقها تفسيرُهُ اللغوي، وتفسيرُه الأثريّ.

وهذا يتفقُ مع ماسبقَ أنْ قلناهُ من التفريقِ بين التفسيرِ والتأويل حيث جعلنا تأويلَ مرحلةً ثانية، مبنيةً على التفسيرالذي يجبُ أن يكونَ أولاً.

هذه الأسسُ الثلاثةُ : ( اللغة ، والأثر، واستنباط) هي التي أصَّلَ بها الإمام الطبريُّ دعائمَ منهجه الأصيل الفريد: (المنهج الجامع في التفسير).

وبذلـك كان الامامُ الطبري هو رائدالمنهجِ الجامع في التفسير، وبهذا استقرّت القواعدُ الأساسيةُ في التفسير، لتبقى معلماً بارزاً، لكلِّ مَنْ أراد أنْ يحققَ المنهجَ الجامع في التفسير : اللغة ، والأثر، والاستنباط.

المرحلة الثالثة ـ التفسيرفي طورالتفريع :

انتقلَ المفسرون بعد الطبري بالتفسير إلى خطوة ومرحلةٍ أُخرى، وهي الانطلاقُ من التأصيل إلى التفريعِ والتنوبع.

صارَالمفسرون يتوسَّعون ويستطردون في تفاسيرهم، ويوردون الكثيرَمن المسائلِ والمباحثِ والقضايا، وبعضُها لايتصلُ بالتفسيرِ اتصالاً وثيقاً، وبهذا انتقل المفسرون بالتفسير من (التأصيل المنهجي) إلى (التفريعِ التثقيفي) ! وبينما كان الطبريُّ يفسِّرُ القرآن على أساسِ ( المنهج الجامع) القائمِ على اللغة والأثرِ والأستنباط ، كان المفسرون اللاحقون يفسِّرونه على أساسِ ( المنهج الغالب) في التفسير..

لقد كان كلُّ واحدِ من هؤلاء المفسرين يفسِّر القرآنَ وفقَ العلم الذي مَهَرَ فيه وغلب عليه، فالمتخصصُ في اللغة غلبَ على تفسيره مباحثُ اللغة والبيان ،على حسابِ باقي المباحث التفسيرية،والمتخصصُ في الفقه والأحكام غلبَ هذا اللونُ على تفسيرِه ،والمتخصصُ في المأثورِ والروايات غلب هذا اللونُ على تفسيره ،والمتخصصُ في المباحث العقلية والكلامية غلبتْ هذه المباحثُ على تفسيره ،وهكذا.

وبذالك تحوَّلَ التفسيرُ من (المنهجِ الجامح) إلى (المنهج الغالب) وبذلـكَ انتقلَ التفسير من طورِ التأصيل إلى طور التفريع.

قال دكتورُ محمد حسين الذهبي وهو(يَرْصُدُ)هذه المرحلةَ التفريعية للتفسير :وإنَّا لنلحظُ في وضحٍ وجلاء :أنَّ كلَّ مَنْ برعَ في فَنٍّ من فنون العلم، يكادُ يقتصرُ تفسيرُه على الفَنِّ الذي برعَ فيه:

فالنحويُّ:تراهُ لاهَمَّ له إلاَّ الإعراب ،وذكْرُما يُحتملُ في ذلك من أوجه،وتراهُ ينقلُ فروعَ النحوِ وخلافياته، وذلك ،كالزَّجّاج،والواحدي في البسيط، وأبي حيان في البحر المحيط...

وصاحبُ العلوم العقلية:تَراهُ يَعني في تفسير بأقوالِ الحكماء والفلاسفة،كماتراهُ يعني بذكْرِ شبههم والردِّعليها، وذلك كالفخرالرازي في مفتيح االغيب.

وصاحبُ الفقه : تَراهُ قد عنى بتقريرِالأدلةِ للفروع الفقهية، والردِّ على مَنْ يخالفُ مذهبَه،وذلك كالجصّاص، والقرطبي....

وصاحبُ التاريخ: ليس له شغلٌ الاَّالقصص، وذكْرُ أَخبارِ مَنْ سلف ماصحَّ منها ومالا يصح ،وذلك كالثعلبي والخازن.

وصاحبُ البدع: ليس له قصْدٌ الأ أنْ يُؤَوِّلَ كلامَ الله ويُنزلَه على مذهبه الفاسد،وذلك كالرّمّاني، والجبائي، والقاضي عبدالجبار،والزمشخري، وهؤلاء من المعتزلة، وملًّامحسن الكاشي من الإمامية الإثني عشرية..

وأصحابُ التصوف : قصدوا الى ناحيِة الترغيب والترهيب، واستخرجِ المعاني الاشارية من الآياتِ القرآنية، بمايتفقُ مع مشاربهم،ويتناسبُ مع رياضاتهم ومواجيدهم، ومِنْ هؤلاء ابنُ عربي وأبوعبد الرحمن السلمي...

وهكذا فسَّرَ كلُّ صاحبِ فنٍّ أومذهبٍ بمايتناسبُ مع فنِّه أويشهدُ لمذهبه.

وقد استمرّتْ هذه المرحلةُ قروناً عديدة، من القرنِ الرابعِ حتى نهاية القرن الثالث عشر.وظهرتْ في هذه المرحلة عدةُ اتجاهاتٍ للتفسير المفرَّعِ، على أساسِ المنهج الغالب،من أشهرها:

1ــ التفسير بالمأثور : كان يغلبُ على تفاسيرِ مفسري هذا الاتجاهِ التفسيريِّ إيرادُ الأقوالِ المأثورة في تفسير الآيات ،من أحاديثَ نبوية، أوأقوالٍ للصحابة أوالتابعين ،أومَنْ بعدَهم من أثمة المفسّرين .

ومن أشهرِ التفاسير المطبوعة التى تمثّل هذا الاتجاه : (بحرالعلوم)لأبي الليث السمرقندي، و(الكشف والبيان) لأبي إسحاق الثعلبي، و(الدار المنثورفي التفسير بالمأثور)لجلال الدين السيوطي، و(فتح القدير) للشوكاني.

2\_التفسير البياني : كان يغلبُ على تفاسيرِ مفسري هذا الاتجاه التحليلاتُ اللغويةُ والبلاغيةُ والبيانية، وكان أصحابُها يتوسَّعون في هذه المباحث البيانية ، ويستطردونَ في المناقشاتِ والترجيحاتِ حولها.

ومن أشهرِ التفاسيرِ المطبوعة التي تمثلُ هذا الاتجاه : (الكشاف ) للزمخشري، و(البحر المحيط) لأبي حيان الأندلسي، و(الدار المصون في علوم الكتاب المكنون) للسمين الحلبي.

3\_ التفسيرالعقلي : كان يغلبُ على تفاسيرِ مفسري هذا الاتجاه المباحثُ العقلية، والمسائلُ الكلامية، والاستنباطاتُ والدلالات الناتجة عن إعمالِ الرأي وإنفاذِ النظر،وكان مفسرو هذا الاتجاه يُفَرِّعون ويُنَوِّعون ويستطردون ويتوسَّعون في هذا الميدان العقلي، على حسابِ الميادين الأخرى.

ومن أشهرالتفاسير المطبوعة التي تمثّل هذا الاتجاه : (مفاتيح الغيب) أو : التفسير الكبير \_لفخرالدين الرازي، و(غرايب القرآن ورغائب الفرقان) للقمي النيسابوري، و(أنوار التنزيل وأسرار التأويل)للبيضاوي، و(مدارك التنزيل وحقائق التأويل)للنسفي،و(الباب التأويل في معاني التنزيل) للخازن و(إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)لأبي السعود العمادي، و(روح المعاني) للآلوسي :

4\_ التفسير الفقهي : كان يغلبُ على تفاسير مفسّري هذا الاجتهاه المباحثُ الفقهية، والمسائلُ المتعلقة بالأحكام والتشريعات، حيث كان المفسرون يقفونَ طويلاً أمامَ الآياتِ التى تتضمن أحكاماً وتشريعاتٍ،ويسنبطون منها الأحكامَ والتشريعاتِ التى توحي بها، وكان كلُّ مفسّرٍ ينتصرُ لاختيارات وترجيحات مذهبه الفقهي.

ومن أشهر التفاسير المطبوعة التى تمثّل هذا الاتجاه الفقهي : (أحكام القرآن)للجصّاص الحنفي، و(أحكام القرآن)لِلْكِيَا الهَرَّاسي الشافعي، و(احكام القرآن) لأبي بكربن العربي المالكي.

5\_ التفسيرُ القريبُ من المنهج الجامع : كان مفسِّرو هذا الاتجاه قريبين من المنهجِ الجامع الأصيل الذي أرسى معالمَه الإمامُ الطبري ، وكان هؤلاء المفسرون يقتدون بالإمامِ الطبري، ويحاولون أنْ يقتربوامنه.

فظهرتْ في تفاسيرهم الأسسُ الثلاثةُ للمنهج الجامع وهي :" اللغة .والأثر،والاستنباط،على تفاوتٍ بينهم في تحقيقِ هذه الأسس الثلاثة ، وكانوا في هذا (دونَ)مستوى الإمام الطبري، لكنهم استفادوا من ذلك المنهج الرائد.

ومن أشهرِ التفاسير المطبوعة التي كانت قريبةً من المنهج الجامع ،والتى سارَ أصحابُها على طريقِ الإمام الطبري : (التفسير الوسيط) للواحدي النيسابوري، و(المحرر الوجيزفي تفسير القرآن العزيز)لابن عطية الأندلسي، و(الجامع لأحكام القرآن) للقرطبي الأندلسي ، و(التفسير القرآن العظيم )لابن كثير الدمشقي.

المرحلة الرابعة التفسير في طور التجديد:

بقي المفسرونَ منذُ القرنِ الرابع حتي القرن الرابع عشر يُفَرِّعون ويُنَوِّعون وتفاسيرهم ،كلٌّ حسب الاتجاهِ الذي مَهَرَ فيه،والعلمِ الذي غلبَ عليه ،حتى جاءَ العصرُ الحديث .

ويبدأُ العصرُ الحديثُ من بدايةِ القرنِ العشرين الميلادي،أو القرن الرابع عشرالهجري،

وتميَّزَ التفسيرُ في العصر الحديث بمزية(التجديد)ولهذا أطلقْنا على هذه المرحلة اسم (التجديد).

ونَعني بالتجديد في التفسير : التجديدَ الصحيحَ السليم، المنضبطَ بالضوابط ِالعلمية ،الملتزمَ بالأسسِ المنهجية ،التجديدَ القائم على الإبداعِ والتحسين والجدَّة ،والاستفادةِ من العلوم والمعارف والثقافات المعاصرة، وتوسيعِ أبعادِ معانى الآيات القرآنية ،وإحسانِ تنزيلهاعلى الواقع الذي تعيشُه الأمة ،والعملِ على حلُ مشكلات الأمة على هدي حقائق القرآن الكريم .

ولانعني بالتجديدِ الخروجَ على القواعدِ والضوابطِ الأسسِ العلمية المنهجية ،والانفلاتَ والفوضى، والقولَ في القرآن بدون علم، وتحريفَ معاني الآيات ودلالاتها،لتوافقَ أهواءَ هؤلاء ،وتتفقَ مع مقرراتِ الغربيين أوالشرقيين، المخالفةِ لكتابِ الله !!

بدأتْ مرحلةُ التجديدِ في العصر الحديث بالشيخِ محمد عبده ، الذي أرسي معالمَ مدرسةٍ خاصةٍ في التفسير وفهم القرآن، وله فيها تلاميذٌ وأتباعٌ يوافقونهَ ويقتدون به،ومعالمُ منهجِ هذه المدرسة منها ما هو صحيحٌ طيبٌ مقبول،ومنها ماهو مردودٌ مرفوض، وقد أصابَ مفسِّرو مدرسة محمد عبده كثيراً في تفاسيرهم كما أنهم أخطؤوا في مواضعَ عديدة فيها،ومن تلك الأخطاء ماكان أساسيا جذرياً خطيراً !!

ولكن من المسلم به أن محمد عبده وتلاميذه أحدثوا هزة وتجديدا في فهم القران و تفسيره، غيروا بها النظرة التقليدية الترتيبة التى طغت على قرون عديدة سابقة"

وفي مقدمة رجال محمدعبده الذين قدموا جهودا طيبة في التفسير القران الشيخ محمد رشيد رضا، صاحب (التفسير القران الحكيم) المشهور باسم (القران المنار)ولكنه توفي رحمة االه قبل اكماله.

ومن أهم مظاهر التجديد الاجابير للتفسير في العصر الحديث انشاء (العمل الحركي الدعويالاسلامي)المتمثل في جماعة الاخوان المسلمين)التي أسسها الامام حسن البنا،والتى انتشرت فى مخلف بقاع العالم العربي والاسلامي، والتى برزفيهادعاة وعلماء كبار خدموا القران والاسلام والدعوة وتركوا اثارا ملحوظة في فهم القران والاسلام .

من العلماء الذين أصدروا دراسات قرانية نافعة، وكانوامن المنتمين لحركة الاخوان المسلمين : البهي الخولي ،ومحمد غزالي، وسعيدحوى صاحب (الاساس في التفسير)،وعبدالمتعال الجبيرى،ودكتور عدنان زرزور والدكتورأحمدفرحات،والدكتورمحمدالصباغ.

وفي مقدمة هؤلاء العلماء والمفكرين سيد قطب الذي انتقل بالتفسير نقلة بعيدة فريدة، عندماكتب تفسيره الرائد (في ظلال القران)الذي اعتبرالدارسون والباحثون معلما بارزا هاديان في عالم فهم القران وتفسير والحركة به ،على مدار تاريخ الاسلامي.

ومن أشهرالتفاسير المعاصرة(محاسن التأويل)لجمال الدين القاسمي،و(تفسير القران الحكيم)تفسير المنال \_لمحمد رشيدرضا، و(فيظلال القران) لسيد قطب ،واضوا البيان في تفسير القران بالقران)لمحمد الامين الشنقيطي، و(الاساس في التفسير)لسعيد عوى،و(التحريروالتنوير) لمحمد الطاهربن عاشور، و(التفسيرالموضوعي للقران الكريم)لمحمدغزالي، و(تفهيم القران)لأبي الأعلى المودودي،و(التفسيرالحديث)لمحمدعزة دروزة.و(التفسير المنير)للدكتوروهبة الزحيلي.

وأهم التفاسير المعاصرة: تفسيرالمنال ،لكنه لم يكتمل،وتفسير(التحرير والتنوير) لابن عاشور،و(في ظلال القران)لسيدقطب.

هذا استعراض موجزلحركة التفسير في مسيرتها التاريخية.منذ عهد الصحابة حتي العصر الحاضر،وهذه هي المراحل الأساسية،الأربعة التى مرت بها.وفي ختام الحديث عن هذه المسيرة التاريخية نشير الى أهم كتب التفسير،

التي لايستغني عنها دارس للتفسير،راغب في فهم القران:

1\_جامع البيان عن تأويل اي القران للامام الطبري.

2\_الكشاف عن غوامض حقائق التنزيل وعيوان الأقاويل في وجوهالتأويل ،للامام الزمشخري

3\_مفاتيح الغيب \_أوالتفسيسر الكبير \_للامام الرازي.

4\_التفسير القران العظيم،للامام ابن كثير

5\_المحررالوجيزفي تفسير الكتاب العزيز،لابن عطية الأندلسي.

6\_تحريرالمعنى المفيد وتنوير العقل الجديد في التفسير القران المجيد \_التحريروالتنوير \_لمحمدالطاهربن عاشور.

7\_في ظلال القران،لسيد قطب.